أقصوصة من روائع الأدب الايطالي :

من شـــابه أباه

بقلم الأســـتاذ مصطفى جميل مرسى

عاش قديماً من بلاد « الإغريق » ملك ذو بأس وسلطان عظيم ، يدعى « فيليب » ... وقد ألقى ذلك الملك فى غياهب السجن بأحد العلماء الراسخين فى العلم .. لما قارفه من إثم وركبه من عدوان ! ..

وكان ذلك العالم ممن حباهم الله بالحكمة وآتاهم المعرفة .. حتى ذاع صيته فى كل أفق .. وجرى ذكره على كل لسان ..

وحدث ذات يوم أن أهدى ملك « أسبانيا » إلى الملك « فيليب » جواداً كريم الأصل جميل الشكل أشهب اللون ذا جرم عظيم ... ! فأرسل الملك فى طلب « البيطار » ليعلمه الرأى فى هذا الحصان ، بيد أن هذا أسر فى أذنه أن الحكيم الإغريقى هو أعلم أهل الأرض بكل أمر ، وأخبرهم بكل شىء ! ..

فدعاه الملك من سجنه ! . وقال له : « أيها السيد .. لقد ألقى فى روعى ما أصبت من العلم البعيد ، وترامى إلى سمعى ما جئت من الخبرة العميقة ! . فخبرنى بما تراه فى هذا الجواد ؟ ! . »

فلما أنعم الحكيم فيه النظر ، وفحصه عن دقة وبينة .. تبسم وقال الملك : « يامولاى .. إن هـذا الجواد جميل حقاً وسريع الركض ! . بيد أنه أرضع لبن الحمير ! .. »

فأوفد الملك « فيليب » الرسل إلى « أسبانيا » ! ليلموا بجلية الأمر ، فاثنوا على أعقابهم يسوقون له اليقين على أن التى أرضعت الجواد حمارة .. فقد نفقت أمه إثر ولادته ! ..

فأخذت الدهشة الملك وتولاه الإعجاب ! .. وأمر بأن يقدم إلى الحكيم فى سجنه ، نصف رغيف من الخبز — جراء له على صدق ما نظر — من نفقة القصر ! .

ثم حدث بعد ذلك أن جلس الملك إلى مجموعة من جواهره الثمينة ولآلئه الغالية ، يختبرها .. فلم يلبث أن بعث إلى الحكيم يدعوه ! . وقال له سيدى إن غور علمك بعيد لا يدرك له العقل نهاية ولا يبلغ منه غاية ! ويلوح أنك عليم خبير بكل دقيقة فى هذا الوجود ! . وها هى ذى أحجارى الثمينة التى أعتز بها ، واهتز زهوا لها ! فدعنى — بربك — أعلم أيها أعظم — فى نظرك الثاقب — قيمة وأكرم معدناً .. » فأجابه الحكيم هازئاً : « هلا أنبأتنى يا مولاى أى واحدة تحسبها أثمن هذه الجواهر وأكرمها ؟ »

فانتقى الملك من بينها جوهرة تتألق جمالا وتفيض بهاء .. ومديده بها إلى الحكيم وهو يقول « إن هذه — أيها السعيد الجليل — تبدو لى أشد حسناً وأرفع قيمة ! .. »

فتناولها « الحكيم الإغريقى » وراح يفحصها بين أنامله ويقلبها فى راحته ، ثم أدناها من مسمعه ، وأصغى برهة إليها ! ثم قال فى صوت هادىء رزين : « يخيل إلى يا مولاى .. أن هذا الحجر يضم فى جوفه حشرة حية ! .. » فأمر الملك — مستغرباً : — بالجوهرة أن تكسر فى رفق ! .. فخرجت منها — أمام ناظريه — دودة تسعى !

فزاد دهش الملك وعظم إعجابه بحكمة الإغريقى ، وعقله الفذ وعلمه العجيب .. وأمر بأن يقدم له — فى سجنه — رغيف كامل كل يوم ! ..

وانسلخت أيام وانقضت شهور ، وكان الشك لا يفتأ ينتاب الملك ، والظنة لا تبرح تراوده بين حين وحين فى نسبه إلى أبيه ! . فأرسل فى طلب الحكيم ، وقال له : « أيها الرجل العليم ... إن بلاءك اليوم لعظيم .. أريدك على أن تخبرنى إن من أنا ؟ ! »

فأجابه العجوز — مظهراً الدهشة — فى صوته الهادىء وحكمته الرزينة : « يا مولاى .. إن هذا لعجيب ! لا ريب فى أنك إبن سلفك الملك العظيم .. والدك ! . » فصاح الملك حانقاً فى غلظة : « إياك والمراوغة من سؤالى : إخبرنى الحقيقة وأنت آمن ! فإن خالجك تردد ، فسوف أضرب عنقك كخائن حقير ! »

فأجابه الإغريقى : « إذن يامولاى ! لاتثريب على ولاحرج ، إنى أخبرك أنك سليل خباز ! » فدخل الملك « فيليب » على « الملكة الوالدة » .. قلقاً ظامئاً إلى جلاء الحقيقة .. وهددها وشدد النكير عليها .. فاعترفت له بأن الحكيم لم يتجاوز الحق فيما قاله !.

حينئذ بلغ إعجاب الملك بالحكيم حداً عظيما ، فاحتبسه معه فى غرفة بمنأى عن القوم — وقال له : « يا سيدى الجليل ! .. لقد تجلت لى آيات بينات من علمك ، وبراهين ساطعة على قدرتك ! وقد حان أن تكشف لى النقاب عن سر معرفتك بها وحكمك عليها ! .. »

فأجابه الحكيم — وهو يبتسم فى لطف — : « يامولاى ! سأنبئك بتأويل مالم تحط به خبراً ! ... أما الحصان فقد علمت أنه رضع لبن الحمير من أذنيه المتدليتين المتراخيتين ، وليست هذه من طبيعة الخيل ! .. وعلمت أن فى جوف الجوهرة حشرة حية ، لأنى استشعرت حرارة لما قبضت عليها .. وعهدنا بالأحجار باردة ! ومن الجلى أن الحرارة لا تصدر إلا عن كائن حى داخلها ! »

ثم سكت الحكيم .. فقال له الملك مستحثاً : —

« هه .. وكيف فطنت إلى أنى ابن خباز ؟ »

فاستطرد الحكيم فى قوله وهو يبتسم فى خبث ورقة :

« حينما أخبرتك بحقيقة الحصان لم تجد على إلا بنصف رغيف من الخبز ، وعندما أنبأتك عن الحشرة الحية فى بطن الجوهرة أمرت لى برغيف كامل من الخبز كل يوم ! فأدركت عن يقين من هو أبوك !

فلو أنك وُلدت من صُلب ملك حقاً لوهبتنى مدينة بأسرها كمنحة أستحقها .. ولكنك اكتفيت برغيف من الخبز وهو ما كان يفعله أبوك الخباز ! .. ومن شابه أباه فما ظلم ! .. »

حينئذ خجل الملك من ضعة أصله ودناءة سجاياه ! وأطلق أسر « الحكيم الإغريقى » ورد عليه حريته ..! ثم أعاده إلى أهله مثقلا بالعطايا .. وولاه منصباً رفيعاً ! ..

مصطفى جميل مرسى

صانع الخير

للكاتب الإنجليزى أوسكار وايلد

كان الوقت ليلا ، ... وحده . فلاحت له من بعيد أسوار مدينة مخططة على شكل دائرة ، فوجه خطاه نحوها . ولما دنا منها سمع فى داخلها خفق أرجل طروبة ، وقهقهة أفواه جذلة وأنغام قيثارات كثيرة صادحة ؛ فقرع الباب ففتح له البوابون فرأى أمامه قصراً من الرمر، أعمدته الرخامية الرائعة الجمال متوجة بأكاليل الأزهار ، وفى داخله وخارجه مشاعل مضاءة من الأرز . فدخله وبعد أن اجتاز ردهات من العقيق الأبيض الخلكيدونى وأواوين من اليشم وبلغ قاعة الوليمة المستطيلة رأى على متكأ من الأرجوان شاباً مكلل الشعر بالورود ، قرمزى الشفتين من آثار الخمر . فدنا منه ولمس كتفه قائلا : « لماذا تعيش هذه المعيشة ؟ » فالتفت الشاب وراءه فعرفه وقال : « قد كنت أبرص فأتيت أنت وشفيتنى . فكيف أعيش غير هذه المعيشة ؟ » .

ترك القصر وخرج إلى الجادة ورأى بعد هنيهة امرأة موشاة الثياب بالنقوش تنتعل حذاء مرصعا باللؤلؤ ، ورأى شاباً مرتدياً ثوباً ذا لونين يسير فى أثرها الهوينا مترقباً كأنه صياد . وكان وجه المرأة شبيهاً بوجوه الدمى الجميلة ، وعينا الشاب تشتعلان لذة وتدفقان شهوة ، فتأثرهما مسرعاً حتى داناهما . فلمس يدى الشاب وقال له : « لماذا تنظر إلى تلك المرأة هذه النظرات ؟ » . فالتفت الشاب وراءه فعرفه وقال : « قد كنت فيما مضى أعمى فأرجعت إلىّ بصرى . فإلى أى شىء أنظر إذا لم أنظر إلى ما ترى ؟ » .

فتركه وتبع المرأة حتى أدركها . فمس ثيابها المزركشة وقال لها : « أليس من سبيل غير سبيل الخاطئة ؟ » . فالتفتت المرأة إليه وعرفته فضحكت وقالت : « ولكنك قد غفرت لى ما أسلفت من خطايا من قبل . وهذا السبيل طريق المسرات ! »

فخرج من المدينة حتى إذا كان فى ظاهرها رأى شاباً ينتحب على قارعة الطريق فاقترب منه ، ولمس غدائره المسترسلة وسأله . « لماذا تبكى ؟ » فرفع الشاب طرفه إليه فعرفه وقال له :

« لقد كنت ميتاً ، فجئت أنت فأحييتنى ، فماذا أصنع غير البكاء ؟ »

عبد الوهاب مصطفى